الجهاز التعليمي والخدمي في مدارس العراق في العصر العباسي

د. عبد الجبار حامد احمد (*)

تمهيد

ظهرت المدارس في العراق في النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة، وقد أسهمت بشكل فعال في تطور الحركة العلمية وازدهارها. وقد تأثرت الحواضر العربية الإسلامية بنظام المدارس الذي كان قائماً في العراق في العصر العباسي، فحاولت تقليدها بطرز البناء وإجراء الجرايات على طلابها وفي المراسيم الأخرى(١).

ولم يكن نظام الملك (ت ٤٨٥ هـ /١٠٩٢ م) وزير السلطان ملكشاه السلجوقي أول من انشأ المدارس – على الرغم من أن نظامية بغداد التي أنشئت سنة (٤٥٩هـ / ١٠٦٦م) تعتبر أول مدرسة في العراق - ، و إنما أنشئت قبل هذه الفترة مدارس بنيسابور(٢)، أنشأها علماء عرب ينتسبون إلى قبائل قريش وتميم(٣)،

(*) قسم التاريخ / كلية الآداب

(١) معروف، ناجي، التوقيعات التدريسية، مطبعة العاني، (بغداد: ١٩٦٣)، ص٢٠.

(٢) انظر: السبكي، طبقات الشافعية، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط١، (القاهرة: ١٩٨٦)، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ٤ / ٣١٤.

(٣) معروف، ناجي، "مدارس قبل النظامية" بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي، م٢٢، (بغداد:١٩٧٣)، ص١٠٥.

لكنه يبدو أن اشتهار نظام الملك في إنشاء المدارس يأتي بسبب تخصيصه المعاليم والأموال للطلبة والمدرسين[٤] فضلا عن إنشائه عدداً كبيراً من المدارس سميت باسمه في مختلف البقاع العربية الإسلامية، حتى في جزيرة ابن عمر انشأ مدرسة كبيرة[٥].

جدير بالذكر أن تلك المدارس أسست لغرض تحصيل العلم والتفرغ له، كما أنها أنشئت تلبية لاحتياجات العقلية العربية الإسلامية وطموحاتها[٦]، علماً أن بداية نشوئها كان لتدريس المذاهب الفقهية، فقد تخصصت النظامية بالمذهب الشافعي، ثم أنشئت مدارس أخرى لتدريس بقية المذاهب، فأصبح هناك مدارس تُدَرِّس مذهباً فقهياً واحداً كالمدرسة التنشية والمغيثية والموفقية في بغداد التي تُدَرِّس مذهب الإمام أبي حنيفة، والمدرسة النظامية في بغداد والموصل تُدَرِّس المذهب الشافعي، ومدرسة باتكين في البصرة وابن الجوزي في بغداد لتدريس المذهب الحنبلي وغيرهم. كما وجدت مدارس تُدَرِّس مذهبين مثل مدرسة الأمير سعادة والمدرسة المرجانية في بغداد، ومنها ثلاثية المذهب كالمدرسة الفخرية بدمشق، إلا انه لم يوجد مثل هذه المدرسة في العراق، في حين وجدت مدارس اختصت بتدريس أربعة مذاهب فقهية كالمدرسة المستنصرية في بغداد. ثم تطور التدريس في هذه

---

(٤) السبكي، طبقات، ٤ / ٣١٤. وانظر: السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، (مصر: د/ت)، ٢ / ١٥٦.

(٥) أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: د. محمد حلمي محمد احمد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة: ١٩٥٦)، جـ١ ق١/ ٦٢.

(٦) هالم، هاينز، " أصول المدرسة في الإسلام "، بحث منشور في مجلة الفكر العربي، ترجمها عن الألمانية رئيس تحرير المجلة، ع٢٠، (طرابلس: ١٩٨١)، ص١٧.

المدارس ومدارس أخرى، فدرست فيها علوم أخرى كالطب مثلا، كما حصل في المدرسة المستنصرية[٧].

وكانت لهذه المدارس نظم أساليب متطورة تعبر عن تطور العقلية العربية الإسلامية، كما احتوت على كادر تعليمي وخدمي وظيفته تقديم الخدمات العلمية والإدارية للمدرسين والطلاب، كما خصصت لهم الرواتب والجرايات وأوقفت الأوقاف على تلك المدارس من اجل المحافظة على ديمومتها واستمرارية نشاطها العلمي، ولكي تستمر بتقديم خدماتها العلمية لكل من يأتي إليها من مختلف المدن العربية الإسلامية، وسنوضح فيما يلي جانبا مما احتوته مدارس العراق في العصر العباسي من كادر وظيفي وخدمي:

١. الشيخ (الأستاذ)

يعد الشيخ من أهم الكوادر الموجودة في المدرسة، وهو الوسيلة الرئيسة الذي يعمل على نشر العلم والمعرفة، لذلك كان ينظر إليه نظرة إجلال واكبار لدوره المتميز في ذلك، علما أن الإسلام قد جعله من ذوي الدرجات الرفيعة وأثنى عليه، قال الله تعالى في فضل العلماء: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)[٨] وقال : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)[٩]، وقال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم: (يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء)[١٠]،

---

(٧) معروف، ناجي، نشأة المدارس المستقلة في الإسلام، مطبعة الأزهر، (بغداد: ١٩٦٦)، ص١٣ - ١٦.

(٨) الزمر: الآية، ٩.

(٩) المجادلة: الآية، ١١.

(١٠) الغزالي، احياء علوم الدين، (مصر: ١٩٣٩)، ١ / ١٢.

وقال: (اقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد)[١١]، لذلك فقد نالوا عناية الكتاب الأوائل، فترجمت حياتهم ودونت نشاطاتهم ومؤلفاتهم وجهودهم العلمية ورحلاتهم التي قضوا حياتهم فيها من اجل البحث عن العلم والمعرفة، وهذا ما نلاحظه في كتب التراجم والطبقات وكتب التاريخ الأخرى.

ونظرا لسمو مقامهم ورفعته فقد أنيطت بهم مهام ومناصب رفيعة كالقضاء مثلا، وهو منصب لا يناله إلا أصحاب الدرجات الرفيعة من بين علماء المسلمين لاستنباطهم الأحكام والفتاوى وخوضهم في دقائقها، فهم كما يقول العامري: غواصين في بحار الفقه لاستخراج الأحكام من القران والحديث كما يستخرج الغواص اللؤلؤ والمرجان،[١٢] ومن هؤلاء سراج الدين محمد بن أبي فراس الهنايسي (ت ٦٧٠ هـ / ١٢٧١/)، كان قاضيا للقضاة ومدرساً في المدرسة البشيرية ببغداد وخطيباً بجامع الخليفة ببغداد أيضا[١٣]، كما أرسل البعض منهم كسفراء يحملون رسائل الخليفة إلى الدول الأخرى مما يشير إلى مكانتهم الرفيعة، فقد أرسل الفقيه مجد الدين يحيى بن الربيع مدرس النظامية ببغداد في رسالة إلى شهاب الدين الغوري صاحب غزنة من قبل الخليفة العباسي، وقد استغرقت سفارته أربع سنين وثلاثة شهور بين سنتي (٥٩٣- ٥٩٧هـ / ١١٩٦ ـ ١٢٠٠م)،[١٤] ثم

---

(١١) نفسه، ١ / ١٢.

(١٢) الإعلام بمناقب الإسلام، تحقيق: د. احمد عبدالحميد غراب، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، (القاهرة: ١٩٦٧)، ص١٨٢.

(١٣) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، تحقيق: د. مصطفى جواد، المكتبة العربية، (بغداد: ١٩٥٥)، مطبعة الفرات، ص٣٧١.

(١٤) ابن الساعي، الجامع المختصر، تحقيق: مصطفى جواد، طبع في المطبعة السريانية الكاثوليكية، (بغداد: ١٩٣٤)، ٩ / ٤٥.

أعيد إليه ثانية برسالة أخرى في سنة (٦٠١هـ / ١٢٠٤م) وكان في هذه المرة رئيسا لوفد يضم جماعة من الفقهاء والعلماء[١٥].

جدير بالذكر إن دور الشيخ التعليمي قبل إنشاء المدارس هو التدريس في المساجد أو في بيته أو في دور العلم أو في أي مكان يمكن أن يُدَرِّس فيها، وعندما أنشئت المدارس انتقل قسم منهم إليها للتدريس فيها إضافة إلى أماكنهم الأخرى التي لم تلغ المدارس دورها التعليمي، فقد أنشئت المدارس النظامية من اجل مشاهير العلماء، فأينما وجد عالم له منزلة محترمة بين الناس بنا له نظام الملك مدرسة انتقل إليها للتدريس فيها[١٦]، ومن ذلك نظامية الموصل التي أنشئت لقاضيها الفقيه أبي بكر محمد بن أبي علي الحسن بن أبي خالد المعروف بالسديد الخالدي[١٧]، ونظامية بغداد التي أنشئت برسم الفقيه أبي اسحق الشيرازي (ت ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م) الذي انتقل للتدريس والوعظ فيها[١٨] وغير ذلك من مدارس العراق.

والملاحظ أن انتقال الأستاذ إلى المدرسة يتم وفق نظام خاص يسبقه مرسوم يصدر من الخليفة أو الأمير أو الوزير لهذا الغرض موضحا فيه طريقة التدريس التي يجب أن يسير عليها بشروطها وضوابطها ونوعية الدرس الذي سيلقيه والجرايات والرواتب التي يستحقها[١٩]. علما أن التدريس قبل إنشاء المدارس لم يجر وفق مرسوم حكومي، وانما غالبا ما كان يجري احتسابا لوجه الله تعالى[٢٠]،

---

(١٥) نفسه، ص١٤٣.

(١٦) معروف، بشار عواد، " التربية والتعليم " بحث منشور في حضارة العراق، ٨ / ٥٧.

(١٧) ابن الأثير، عزالدين، اللباب في تهذيب الانساب، مكتبة المثنى، (بغداد: د /ت)، ١ / ٤١٤.

(١٨) معروف، بشار عواد، " التربية والتعليم "، ٨ / ٧٠.

(١٩) معروف، ناجي، التوقيعات التدريسية، ص٣٣ _ ٣٦.

(٢٠) نفسه، ص٢٦.

وربما قد يكون هناك اتفاق بين العالم والمتعلم حول الأجور لمن ليس له موردا آخر للعيش، ومن الأمثلة على تعيين المدرسين في المدارس وفق مرسوم خاص، ابن الباقرجي (نسبة إلى باقرجا من قرى بغداد في نواحي النهروان) الذي عين في المدرسة النظامية بمرسوم صدر عن سنجر ومحمود السلجوقي في سنة (٥١٧هـ / ١١٢٣م)[٢١].

وقد يرافق تعيين المدرّس في المدرسة مراسيم خاصة تعكس أهمية الشيخ ومكانته عند العامة والخاصة، وهي امتيازات خاصة بالجهاز التعليمي، تعكس الدور الذي اضطلع به المدرسون على مدى حقب التاريخ العربي الإسلامي، وقلما ينالها شخص سواهم، وتتجسد هذه الامتيازات بالرواتب والمنح والجرايات والهدايا وحضور كبار رجال الدولة أول محاضرة يلقيها المدرّس عند تعيينه في المدرسة، فعندما ولي مجد الدين يحيى بن الربيع سنه (٥٩٨هـ / ١٢٠١م) تدريس المدرسة النظامية ببغداد خُلع عليه بزة سوداء وطرحة كحلية بحضور أرباب الدولة كما جرت العادة في ذلك[٢٢]، وعندما فتحت المستنصرية سنة (٦٣١هـ / ١٢٣٣م) رتب بها الشيخ تاج الدين محمد بن الحسن الارموي مدرساً، وخلع عليه وعلى من حضر الاحتفال من الفقهاء والمعيد وجميع الحاشية [٢٣]، كما خلع على كل من محيي الدين أبو عبدالله محمد بن يحيى بن فضلان الشافعي ورشيد الدين أبو حفص عمر بن محمد الفرغاني الحنفي جبة سوداء وطرحة كحلية وأعطي بغلة بمركب

---

(٢١) ابن الجوزي، المنتظم، نشر الدار الوطنية، طبع مطابع التعليم العالي، (الموصل: ١٩٩٠)، ٩/ ٢٤٦.

(٢٢) ابن الساعي، الجامع، ٩ / ٧٩.

(٢٣) ابن الفوطي، الحوادث، ص٢٥.

جميل وعدة كاملة، عندما رتبوا للتدريس في المدرسة المستنصرية[٢٤]، وفي سنة (٦٤٣هـ / ١٢٤٥م) رتب ابن الجوزي مدرساً للفقه الحنبلي بالمدرسة المستنصرية وخلع عليه وأعطي بغلة وحضر ذلك الاحتفال أرباب المناصب وكبار رجال الدولة[٢٥]. وإذا عزل عن التدريس تسحب منه هذه الامتيازات كما حصل لشهاب الدين محمود بن احمد الزنجاني مدرس النظامية الذي عزل سنة (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) وأخذت منه الطرحة[٢٦].

ولأهمية هذا النصب وخطورته فكثيراً ما كان يقتصر أمر تعيين بعضهم على الخليفة وحده، ويرفض الأشخاص الذين تصدر أوامرهم من غير الخليفة، ففي سنة (٥٤٥هـ / ١١٥٠م) رتب يوسف الدمشقي مدرّساً في النظامية من دون إذن الخليفة أو موافقته، لذلك منع المذكور من إلقاء الدرس، وصدر أمر الخليفة بتعيين أبي النجيب بن النظام للتدريس فيها بدله[٢٧] كذلك عندما جلس ابن الجوزي لالقاء الدروس في مدرسة بنفشة في بغداد، لم يباشر دروسه إلا بعد أن قرئ كتاب التعيين والوقف أمام قاضي القضاة الذي كان حاضرا في المدرسة المذكورة مع جمع من الناس[٢٨]. في الوقت نفسه كان على الأستاذ الذي يروم الاستقالة من المدرسة التي عيّن فيها أن يطلب الأذن من الجهة التي نصبته في تلك المدرسة كما حصل لابن الأنصاري الحلبي الحنفي الذي طلب الأذن والسماح له في العودة إلى بلده، فسمح

---

(٢٤) نفسه،ص٥٥.

(٢٥) نفسه، ص٢٨٨.

(٢٦) ابن الساعي، الجامع، ٩ / ٢١٩ (هامش ١).

(٢٧) المنتظم، ١٠ / ١٤٢.

(٢٨) نفسه، ١٠/ ٢٥٣.

له بعد أن قضى في المدرسة المستنصرية واحد وعشرون شهرا يدرس المذهب الحنفي[٢٩].

جدير بالذكر إن نظام التعيين الذي ظهر بنشوء المدارس لم يكن مقبولا من قبل كل العلماء، فهناك من رفضه وهناك من تردد في قبوله، واعتبروا أن اخذ الأجر على التدريس هو مهانة للعلم وتدنيا لسموه ورفعته، لان الهدف الأساس من تعلم العلم عند المسلمين هو ابتغاء مرضاة الله دون هدف مادي. فعندما أسس نظام الملك مدرسته في بغداد سنة (٤٥٩هـ / ١٠٦٦م) أقام بعض العلماء مأتما للعلم وقالوا: " كان يشتغل بالعلم أرباب الهمم العلية والأنفس الزكية الذين يقصدون العلم لشرفه والكمال به، وإذا صار عليه اجر تدانى إليه الاخساء وأرباب الكسل فيكون ذلك سببا لمهانته وضعفه "[٣٠]، وكان أبي اسحق الشيرازي (ت ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م) يدرس في مسجد باب المراتب ببغداد، ولما أنشئت النظامية انتقل إليها للتدريس فيها بعد تمنع شديد[٣١]، لذلك كان البعض منهم يتنزه عن معلوم المدارس لا سيما إذا كانت له مهنة أو حرفة يكسب منها عيشة. أما إذا لم يكن له مهنة أخرى فلا بأس من اخذ الأجر على التعليم[٣٢]. ومن درس احتسابا لوجه الله تعالى عبدالله بن الخضر ابن الحسين الموصلي المعروف بابن الشيرجي (ت ٥٧٤هـ / ١١٧٨م)، إذ رتب في المدرسة الاتابكية العتيقة التي انشاها الملك الاتابكي سيف الدين غازي الأول بن

---

(٢٩) ابن الفوطي، الحوادث، ص١٠٠.

(٣٠) القابسي، نجاح، " المعاهد والمؤسسات التعليمية في العالم الاسلامي "، المؤرخ، ع١٩، (١٩٨١)، ص١٩٤.

(٣١) معروف، ناجي، " النظاميات العشر" مجلة كلية الدراسات الإسلامية، (بغداد: ١٩٧٢)، ع٤/ ٣٢٧.

(٣٢) ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في ادب العالم والمتعلم، تحقيق: محمد هاشم الندوي، طبع دائرة المعارف العثمانية، (حيدر اباد ـ الدكن: ١٣٥٤)، ص٢٠٩-٢١٠.

عماد الدين زنكي (ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م)، وكان تدريسه فيها مجانا لم يأخذ عليه أية رواتب أو جرايات[٣٣]. بينما كان البعض من المدرسين يتقاضون رواتبا كما هو الحال في مدرسي المستنصرية، اذ كانوا يتقاضون اثنا عشر دينارا من الدنانير الذهبية نقدا فضلا عن المواد العينية المخصصة لكل واحد منهم[٣٤] .

وقد أوضح السبكي أن على الشيخ أن يصون العلم ويعطيه حقه في الدرس ويكون متفانيا في ذلك وألا تقتصر محاضرته على حفظ سطرين أو ثلاثة من كتاب ويجلس لكي يلقيها ثم ينهض، فقد اعتبره غير صالح للتدريس ولا يحق له تناول معلومه أو جراياته[٣٥].

وكانت تراعى في اختيار المدرس شروط كثيرة في مقدمتها الإسلام الصحيح، وصحة المذهب والاعتقاد والسمعة الحسنة والعلم الوافر، وان لم تتوفر تلك الشروط يبقى مقعده شاغرا لحين مجيء من يستحق ذلك المنصب، فعند افتتاح المستنصرية نصب لتدريس كل مذهب من المذاهب كبار الشيوخ أمثال محيي الدين فضلان للشافعية ورشيد الدين بن محمد الفرغاني للحنفية ومحيي الدين يوسف بن الجوزي للحنابلة، ما عدا الفقه المالكي فقد بقي بدون مدرس إلى أن حضر الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الشرساحي من المغرب وجلس للتدريس فيه[٣٦].

وشروط تعيين المدرس توضح في الرسوم أو التوقيع الذي يصدر عن

---

(٣٣) الاسنوي، طبقات الشافعية، تحقيق: عبدالله الجبوري ط١، مطبعة الإرشاد، (بغداد: ١٩٧١)، ١١٠/٢- ١١١

(٣٤) معروف، بشار عواد، " التربية والتعليم "، ١١٧/٨.

(٣٥) للسبكي، معيد النعم ،دار الحداثة، (بيروت: ١٩٨٥) ص١٠٦.

(٣٦) الحلي، احمد حقي، " التربية والتعليم في الحضارة العربية الإسلامية "، مجلة دراسات عربية واسلامية، ع٢، س٢ (١٩٨٢)، ص١٩١.

الخليفة أو الأمير أو الوزير ويجب على الشيخ أن يلتزم بتلك الشروط من اجل صيانة العلم والحفاظ عليه، ومن هذه التوقيعات التي وصلت إلينا، التوقيع الذي صدر عن المخزن المعمور (بيت المال) بتعيين ضياء الدين احمد بن مسعود التركستاني الحنفي للتدريس في مدرسة مشهد أبي حنيفة والنظر في وقوفها وكان ذلك سنة (٦٠٤هـ / ١٢٠٧م)، حيث أورده ابن الساعي كاملا وأوضح فيه ما يحويه ذلك التوقيع من أمور تتعلق بعلمه وعفته وطاعته لله تعالى، كما تبين طريقة التدريس التي ينبغي أن يسير بموجبها متبعا الشروط والضوابط المتعارف عليها، كما ذكر فيه ما يخصص له من جرايات عينية ومرتبات نقدية، فضلا عن الأمور الأخرى التي يكلف بها كالنظر في وقوف تلك المدرسة أو الإشراف على عمارتها ومكتبتها وغير ذلك، ثم ينتهي التوقيع بتدوين اليوم والشهر والسنة(٣٧).

جدير بالذكر أن المدارس كانت تشترط فيمن يدرس فيها أن يكون على المذهب الذي أوقفت من اجله تلك المدرسة، فالمدرسة النظامية كان من شروطها أن يكون المدرس بها من الشافعية أصلا وفرعا(٣٨)، ومدرسة بنفشة في بغداد أوقفتها الجهة الصالحة بنفشة ابنة عبدالله عتيقة الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله (ت٥٩٨هـ / م ١٢٠١م) على أصحاب الإمام احمد بن حنبل لتدريس الفقه الحنبلي(٣٩) والمدرسة العمادية في سنجار، أنشئت لأصحاب الأمام أبي حنيفة النعمان، واشترط فيها واقفها أن يكون النظر في وقوفها إلى أصحاب المذهب

---

(٣٧) انظر: ابن الساعي، الجامع، ٩/ ٢٣٣ ـ ٢٣٦. معروف، ناجي، التوقيعات، ص٢٧ـ ٢٩.

(٣٨)المنتظم، ٩ / ٦٦.

(٣٩) نفسه، ١٠/ ٢٥٨. وانظر: معروف، بشار، عواد " التربية والتعليم"، ٨/ ٩٦.

الحنفي[٤٠] وغير ذلك كثير.

وكان الشيخ يحضر إلى المدرسة بشكل منتظم وبمواعيد محددة، ولاشك انهم كانوا يقسمون أوقاتهم حسب ما تتطلبه ظروفهم لان البعض منهم من شغل مناصب في اكثر من مكان إلى جانب التدريس كمنصب القضاء أو النظر في الوقوف أو التدريس في اكثر من مدرسة، لذلك يتطلب منه أن يحدد مواعيده للتدريس في مدرسته، فمثلا كان احمد بن نصر بن الحسين، أبو العباس الانباري المعروف بالشمس الدنبلي (ت ٥٩٨هـ / ١٢٠١م) يدرس بالمدرسة النظامية بالموصل وبمدرسة كمال الدين الشهرزوري " الكمالية القضوية "[٤١] وكذلك القاضي أبو حامد محيي الدين محمد بن القاضي كمال الدين الشهرزوري (ت ٥٨٦هـ / ١١٩٠م) تولى منصب القضاء في الموصل فضلا عن التدريس بالمدرسة النظامية فيها وبمدرسة والده " الكمالية القضوية "[٤٢]، كما كان الفقيه عماد الدين أبو حامد محمد بن يونس بن منعة (ت ٦٠٨هـ / ١٢١١م) قد درس بعدة مدارس في الموصل النورية والعزية والنفيسية والعلائية والزينية حتى وفاته[٤٣]. لكنه في كل الأحوال عليه أن يراعي مصلحة الطلاب في تحديد الأوقات بحيث تكون مناسبة

---

(٤٠) ابن الأثير، الباهر، ص١٩١.

(٤١) السبكي، طبقات الشافعية، ٦/ ٦٧.

(٤٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق: د. احسان عباس، دار صادر، (بيروت: ١٩٦٨)، ٤/ ٢٤٦. السبكي، طبقات، ٦/ ١٨٥- ١٨٦.

(٤٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤/ ٢٥٣. ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ج٤ق٢/ ٨٥٦. الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ١/ ١٦٢. السبكي، طبقات، ٨/ ١٠٩- ١١٠.

لأغلبيتهم[٤٤]، ويذكر أن البعض من العلماء أفتى بان المدرس الذي يذكر الدرس في مدرسة بوقت غير ملائم كأن يكون قبل طلوع الشمس أو بعد الظهر لا يستحق على ذلك أجرا إلا إذا شرط الواقف بذلك، لمخالفتة العرف المعتاد[٤٥]،لكنه مع ذلك كانت تجري مجالس علم والقاء محاضرات في أوقات مختلفة من النهار كأن يكون بعد صلاة العصر كما يذكر ذلك ابن جبير الذي حضر مجلس الأمام رضي الدين القزويني فقيه المدرسة النظامية ببغداد بعد صلاة العصر من يوم الجمعة سنة (٥٨٠هـ / ١١٨٤م) في المدرسة المذكورة[٤٦].

وعندما يحين موعد المحاضرة، على الشيخ أن يتهيأ للدرس بشكل يتناسب مع قدسية العلم فقد أوضح ابن جماعة الأمور الواجب على الشيخ اتباعها عند إلقائه المحاضرة، ومن ذلك: أن يتطهر من الحدث والخبث قبل مجيئه إلى الدرس، لابسا افضل الثياب اللائقة في زمانه من اجل تعظيم العلم وتبجيله، وألا يدرس في وقت جوعه أو عطشه أو همه أو غضبه أو نعاسه. كما يقتضي منه أن يجلس بارزا لجميع الحاضرين لكي يستطيع من كان حاضرا مجلسه أن يراه ويسمعه، ويكون جلوسه بسكينة ووقار وخشوع متنزها عن دني المكاسب ورذيلها[٤٧]. ففي المدرسة المستنصرية كان الشيخ يجلس بسكينة ووقار على كرسي عليه البسط في قبة صغيرة مصنوعة من الخشب لابسا ثياب السواد ومعتما، وعلى يمينه ويساره

---

(٤٤) رؤوف، عماد عبدالسلام، مدارس بغداد في العصر العباسي، ط١، (بغداد: ١٩٦٦)، مطبعة دار البصري، ص١٩.

(٤٥) ابن جماعة، تذكرة، ص٤٤.

(٤٦) المرحلة، ص١٩٥.

(٤٧) تذكرة، ص١٩، ٣٠-٤٤.

معيدان يعيدان كل مايمليه، وهكذا بقية الشيوخ للمذاهب الأخرى في هذه المدرسة[٤٨]. كما يتطلب منه أن ينظر نظرة إجلال واحترام إلى الحاضرين من طلاب العلم مقدما أفاضلهم علما وسنا ومحترما الجميع. وعليه قبل البدء بالدرس قراءة شيء من القرآن الكريم تبركا وتيمنا، فضلا عن ذلك عليه أن يراعي أمورا أخرى لتحقيق الفائدة، كأن يكون صوته مسموعا من قبل الحاضرين وان يحفظ مجلسه من اللغط أو سوء الأدب حفاظا على قدسية المحاضرة، وعليه في ختام الدرس أن ينهي ذلك بكلام يشعر الحاضرين بأن محاضرته قد انتهت كأن يقول: " وهذا آخره " أو " ما بعده يأتي إن شاء الله تعالى " وغير ذلك[٤٩].

ويطلب من الشيخ أن يلقي الدرس الذي عين من اجله والفن الذي بنيت المدرسة له، كما يقول السبكي، فهو يعتبر الفقيه الذي لا يلقي الفقه آكل حرام، ومثله في مدرسة التفسير إذا ألقى مدرسها غير التفسير وكذلك مدرسة النحو إذا ألقى مدرسها غير النحو[٥٠]،لكنه يعود ويعطي العذر للشيخ الفقيه إذا ألقى في بعض الأيام تفسيرا أو حديثا أو غير ذلك من العلوم الشرعية من اجل التنويع والإفادة وبعث الهمم في نفوس الطلبة، ويشترط في مثل هذا الشيخ أن يكون عارفا ضليعا بهذه العلوم[٥١].

وللشيخ طرقا عدة في كيفية إعطائه للعلم وتدريس الطلاب، ومن اشهرها:

---

(٤٨) ابن بطوطة، المرحلة، ص٢١٩.

(٤٩) تذكرة، ص٣٣-٤٤.

(٥٠) مفيد النعم، ص١٠٧.

(٥١) نفسه،ص١٠٧.

الإملاء

وهو أن يجلس العالم أو المدرس وحوله التلاميذ ومعهم المحابر والقراطيس، وعندما يتكلم يكتب التلاميذ ما يقوله[٥٢]، فقد كان جعفر بن حمدان الموصلي (يملي على) طلابه من مصنفاته ومما حفظه من العلوم الأخرى[٥٣]. **وكذلك التحديث من غير إملاء** / كأن يقول السامع (حدثنا) أو (اخبرنا) أو أنبأنا)، أي بسماع من الشيخ من دون إملاء[٥٤]. وهذه أمثلتها كثيرة وشائعة بين العلماء. وكذلك **القراءة على الشيخ**، وهي أن يعرض القارئ على الشيخ ما يقرؤه، سواء أكان الشخص نفسه هو القارئ أو كان غيره وهو يسمع أو كانت القراءة من حفظ الشخص أو من كتاب يقرؤه، أو كان الشيخ يحفظ ما يقرأ عليه أو كان يمسك الأصل هو أو غيره، فكل هذه الطرق تسمى (القراءة عرضا)[٥٥]، فقد كان عبيد الله بن جرو الاسدي النحوي (ت٣٨٧هـ / ٩٩٧م) قد (قرأ) الأدب على شيخه أبي سعيد السيرافي[٥٦]، كما أن هناك (عرض المناولة) أي أن الطالب يعرض على شيخه ما كتبه عنه فيتأمله الشيخ للتأكد من مطابقة الفرع للأصل، فإذا تم ذلك فانه يجيز طالبه بما يعرف بـ (الإجازة العلمية)، إذ يعترف كتابة بصحة ما كتبه الطالب عنه

---

(٥٢) كشف الظنون، ١/ ١٦١.

(٥٣) الحموي، معجم الأدباء، ٧/ ١٩٣.

(٥٤) ابن الصلاح الشهرزوري، مقدمة ابن الصلاح، منشورات دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٧٨)، ص٦٢.

(٥٥) نفسه،ص٦٥.

(٥٦) الحموي، معجم الأدباء، ١٢/ ٦٣.

أو يعترف بصحة ما أملاه على الطالب[٥٧]، وهذه الإجازة بمثابة شهادة من الشيخ للطالب يثبت بها الشيخ أن تلميذه قد اصبح مؤهلا لهذا النوع من العلوم والمعارف وتكتب له على الورقة الأولى أو الأخيرة من الكتاب الذي قرأه التلميذ[٥٨]، وقد أورد الحموي صورة من إجازة عامة كتبها ابن جني سنة (٣٨٤هـ / ٩٩٤م) لأبي عبدالله الحسين بن احمد ابن نصر أجاز فيها بان يروي عنه مصنفاته وكتبه[٥٩] وأصبحت الإجازة وسيلة ضرورية يحرص عليها العالم لضمان انتشار علمه انتشارا صحيحا سليما خاليا من التحريف، وفي الوقت نفسه هي حرص على المتعلم ليكون علمه مضبوطا سليما لا يشك في نسبته إليه[٦٠] كما تعد وثيقة صادقة تطلعنا على الأنظمة التي كانت متبعة في الدولة العربية الإسلامية، وتمدنا بكثير من المصطلحات الفنية التي كانت متبعة قديما[٦١] واخيرا لابد من الإشارة إلى طبيعة العلاقة التي كانت قائمة بين الشيخ وطلابه والتي تحمل في طياتها المعاني السامية والنبيلة، وهي علاقة مستمدة من تعاليم الإسلام وسموه ورفعته وهدفها نشر العلم والمعرفة، كأن يحب لطالبه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه ويحرص على تعليمه وتفهيمه ببذل أقصى الجهد، ويتابع دروسهم ويمتحن ضبطهم لأنه يقصد بتعليمهم وجه الله تعالى، ومن ثم يكرم المجتهد فيهم فضلا عن مراقبته ومتابعته

---

(٥٧) مقدمة ابن الصلاح الشهرزوري، ص٧٩، ٨١.

(٥٨) عبدالعزيز، محمد الحسيني، الحياة العلمية في الدولة الإسلامية (بيروت: ١٩٧٣)، دار العلم للملايين، ص٣٨.

(٥٩) معجم الأدباء، ١٢/ ١٠٩- ١١١.

(٦٠) غنيمة، محمد عبدالرحيم، تاريخ الجامعات الإسلامية، (المغرب: ١٩٥٣)، ص٢٢٢.

(٦١) الحسني، بهيجة، " استجازة الحافظ السلفي الشيخ الزمخشري"، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي، م٢٣ (١٩٧٣)، ص١٦٢- ١٦٣.

لأحوالهم وآدابهم واخلاقهم ومساعدة المحتاجين منهم والاستفسار عن أحوال الغائبين وزيارة مرضاهم[٦٢]، فهي علاقة ود وصداقة، وبالمقابل كان الطلاب يكنون عظيم الاحترام لشيوخهم الذين أناروا لهم الدرب، لذلك نلاحظ إن كثيرا ما يذكر العلماء شيوخهم الذين درسوا على أيديهم ويثنون عليهم، فمثلا أبا يعلى الموصلي (ت٣٠٧هـ / ٩١٩م) المحدث المشهور قد خرج لنفسه معجما لشيوخه في ثلاثة أجزاء[٦٣] مما يدل على كثرتهم واعتزازه بهم واعترافه بفضلهم عليه.

٢. النائب

وهو الذي ينوب عن المدرس بالتدريس في المدرسة، ولا شك أن النائب في المدرسة لا يقل عن المدرس علما وعملا بدليل انه كان يحل محله في كثير من الأوقات وينوب عنه بالتدريس وإلقاء المحاضرات، وقد أشارت كتب التاريخ والتراجم إلى عدد كبير من العلماء الذين انابوا غيرهم في المدارس. وقد تكون النيابة لاسباب شتى، إذ يتطلب الأمر استدعاء أحد العلماء لكي ينوب عن غيره في المدرسة، ولهذا المنصب فائدة كبيرة، الهدف منها هو عدم ترك كرسي الشيخ أو الأستاذ شاغرا لفترة طالت أم قصرت، فضلا عن ذلك فقد تتوفر للنائب فرصة لاظهار إمكانياته العلمية بين الناس ومن ثم وسيلة لشهرته. أما الأسباب التي تقف وراء ظهور هذا النصب واستدعاء النواب للتدريس فهي:

- قد تحصل النيابة عن شخص بسبب مرضه أو كبر سنه، فقد شغل أبي محمد عبدالوهاب سيف الدين المعروف بابن القدوة، وهو ابن الشيخ محيي

---

(٦٢) ابن جماعة، تذكرة، ص٤٧- ٦٢.

(٦٣) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ط٤، (بيروت: ١٣٧٤هـ)، دار احياء التراث العربي، ٢/ ٧٠٧.

الدين عبدالقادر الجيلي هذا المنصب ودرس نيابة عن والده بمدرسته (مدرسة عبدالقادر الجيلاني) وهو حي، ثم استقل بالتدريس بها بعد وفاته[٦٤].

- وقد يستناب عن شخص بسبب سفره في بعض مهام الدولة، حيث يشغل مكانه لحين عودته، فقد ناب جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي الحنبلي عن والده في المدرسة المستنصرية لان والده كان مسافرا خارج بغداد في بعض مهام الديوان[٦٥].
- وربما تحصل النيابة بسبب وجود كرسي شاغر في إحدى المدارس، فعندما عين شهاب الدين احمد بن يوسف سنة (٦٣٣هـ / ١٢٣٥م) لتدريس المستنصرية، رتب ولده فخر الدين أبو العز يوسف نائب التدريس بالمدرسة التشية[٦٦].
- ويبدو إن النيابة تحصل أيضا إذا كانت للمدرس الأصلي مهام عدة تعيقه في بعض المرات عن حضور الدرس، فمثلا كان الفقيه محمد بن محمد بن الحسين، أبو الفضل المعروف بزين الأئمة الضرير قد درس في مدرسة مشهد أبي حنيفة نيابة عن قاضي القضاة أبي القاسم الزينبي مدة من الزمن[٦٧]، ولاشك أن قاضي القضاة له مهام كبيرة وارتباطات كثيرة، لذلك

---

(٦٤) رؤوف، عماد عبدالسلام، مدارس بغداد، ص١٤٥

(٦٥) ابن الفوطي، الحوادث، ص٥٥.

(٦٦) رؤوف، عماد عبدالسلام، مدارس بغداد، ص٥١.

(٦٧) نفسه، ص٥٥- ٥٦.

كان هناك من ينوب عنه في التدريس.

- وقد تحصل النيابة بسبب غياب المدرس الأصلي لسبب أو آخر، فكان أبي منصور بن الرزاز ينوب عن الفقيه أسعد الميهني في المدرسة النظامية إلى أن جاء مدرسها[٦٨].
- وقد تكون النيابة بسبب نقل المدرس الأصلي من مدرسته إلى منصب آخر فيبقى مقعده شاغرا فيستناب بأحد الأساتذة لملء الكرسي، فقد كان أبي المحاسن عبداللطيف بن نصر الله بن علي الواسطي المعروف بابن الكيال مدرسا للفقه الحنفي في مدرسة مشهد أبي حنيفة ببغداد، وعندما صدر أمر تعيينه قاضيا لمدينة واسط، استناب في التدريس عنه أبا الفرج عبدالرحمن إبن شجاع الحنفي في المدرسة المذكورة[٦٩].
- وقد تحصل النيابة في التدريس بسبب وفاة المدرس، فقد شغل الفقيه أبي الحسن علي بن علي بن سعادة الفارقي الشافعي نيابة التدريس في المدرسة النظامية بعد وفاة مدرسها الشيخ أبي طالب المبارك بن المبارك الكرخي سنة (٥٨٣هـ / ١١٨٧م)[٧٠].

جدير بالذكر إن منصب النيابة في التدريس يلقى الحفاوة والتقدير من قبل العامة والخاصة، لان المدرس النائب ينظر إليه كما ينظر للمدرس الأصلي، فلولا تفقهه وبعلمه لما استنابوه للتدريس، لذلك كان يحضر افتتاح دروسه كبار العلماء ورجال الدولة وتخلع عليه الخلع والهدايا. فعندما رتب فخر الدين يوسف ـ المار

---

(٦٨) المنتظم، ٩/ ٢٤٦.

(٦٩) ابن الساعي، الجامع، ٩/ ٢٨٠.

(٧٠) نفسه، ٩/ ١٨٨ ـ ١٨٩.

ذكره – نائبا للتدريس في المدرسة التتشية حضر الأئمة والفقهاء والعلماء[٧١]، كما خلع على كل من جمال الدين بن الجوزي الحنبلي وأبي الحسن علي المغربي المالكي قميص وعمامة قصب[٧٢].

وأخيرا لابد من الإشارة إلى أن هناك نيابة في خزانة الكتب التي في المدارس أيضا، وهذه النيابة إما أن تكون أسبابها نفس الأسباب الآنفة الذكر، أو أن يكون الشخص المستناب في المكتبة صاحب خبرة فيستناب إليها لتنظيم أمورها وفهرستها ولم شعثها، كما هو الحال في الوقت الحاضر، فقد يطلب من أحد الاختصاصيين في حقل من حقول المعرفة للعمل في دائرة ما، لغرض فتح دورة لموظفيها أو تنظيم سجلاتها أو ما شابه ذلك. وممن تولى هذا المنصب مجد الدين أبي الفضل محمد بن احمد بن علي المعروف بابن الساعاتي التغلبي البغدادي، فقد استنابه الأمير عبدالامير عبدالله بن يوسف في فتح خزانة الكتب بالمدرسة المستنصرية، وأستنابه الشيخ جمال الدين مسافر بن إبراهيم الخالدي في الخزانة المذكورة[٧٣].

٣. المعيد

وهو أحد أفراد الجهاز التعليمي الذي تقع عليه مسؤوليات كبيرة في تفهيم الطلبة ونفعهم بعد أن يشرح الشيخ الدرس[٧٤]، لانه من المعلوم أن الطلبة ذوي مستويات مختلفة لذلك فان قابلياتهم على فهم الدرس تكون متفاوتة، وعليه فإن دور

---

(٧١) ابن الفوطي، تلخيص، ٤/ الترجمة ٢٥٣٤، رؤوف، عماد عبدالسلام، مدارس بغداد، ص٥١.

(٧٢) ابن الفوطي، الحوادث، ص٥٥.

(٧٣) رؤوف، عماد عبدالسلام، مدارس بغداد، ص٥٩.

(٧٤) السبكي، معيد النعم، ص١٠٨.

المعيد إعادة ما توقف فهمه عليهم من دروس المدرس، فهو معين للشيخ على نشر علمه ومعاون للطلبة على إعادة المحفوظات ومراجعة المذاكرات ومن ثم فهو دون الشيخ مرتبة واعظم درجة من الطلبة[٧٥]، لذلك حدد له ابن جماعة أوصافا وشروطا لكي يؤدي عمله على اكمل وجه ومنها أن يكون: " من صلحاء الفضلاء وفضلاء الصلحاء، صبورا على أخلاق الطلبة، حريصا على فائدتهم وانتفاعهم به قائما على وظيفة أشغالهم " [٧٦]، وكان البعض من المعيدين ينتقل من معيد في مدرسته إلى مدرس في مدرسة أخرى، إذا لم يكن فيها مدرسا وكانت الحاجة قائمة إليه، وبذلك يكون قد وصل مرتبة علمية يستطيع فيها أن يحل محل الشيخ في التدريس.

ومن هؤلاء أبي المكارم منصور بن الحسن بن منصور الزنجابي الفقيه الشافعي، كان معيدا في المدرسة النظامية ثم انتقل إلى التدريس في مدرسة ثقة الدولة أبي الحسن الدريني بباب الازج بعد وفاة مدرسها الفقيه أبي القاسم صاحب ابن الخل وذلك سنة (٥٩٣ هـ / ١١٩٦م)[٧٧]. وقد يترقى المعيد في المدرسة نفسها من مرتبة الإعادة إلى مرتبة التدريس بعد أن تثبت كفاءته في عمله، فقد تولى الشيخ جلال الدين عبد الجبار بن عكبر الحنبلي تدريس الفقه الحنبلي بالمدرسة المستنصرية بعد أن كان معيدا في تلك المدرسة، وحضر دروسه كبار العلماء ورجال الدولة[٧٨].

---

(٧٥) ابن جماعة، تذكرة، ص١٥٠، ٢٠٤.

(٧٦) نفسه، ٢٠١.

(٧٧) ابن الساعي، الجامع، ٩/ ٦٤.

(٧٨) ابن الفوطي، الحوادث، ص٣٤٦.

وكانت الخلع والهدايا تقدم للمعيد أسوة بالمدرسين، ففي المدرسة المستنصرية كان قد خلع على جميع المعيدين فيها وللمذاهب الأربع، علما انه قد رتب فيها لكل مذهب أربعة معيدين[٧٩]، يجلس اثنان على يمين المدرس واثنان على يساره[٨٠].

وقد أوردت كتب التراجم والتاريخ أخبار عدد من المعيدين في مدارس العراق، ومنها معيدو مدرسة زمرد خاتون في بغداد التي كان معيدا فيها معين الدين عبد الرحمن بن إسماعيل البغدادي الحريمي الطاهري (ت ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م) وموفق الدين أبي الحسن علي بن الخطاب بن مقلد الواسطي المقرئ (ت ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م) الذي أعاد أيضا في المدرسة الفخرية وغيرهما[٨١]. وممن تولى الإعادة بمدرسة أبناء بلدجي في الموصل الشيخ أبي محمد عمر بن بدر بن سعيد الفقيه الحنفي (ت ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م)[٨٢]، وبالمدرسة البدرية بالموصل أيضا الفقيه تاج الدين أبي القاسم عبد الرحيم بن رضي الدين بن عماد الدين بن منعة (ت ٦٧١هـ / ١٢٧٢ م)، إذ كان معيدا لعم والده كمال الدين بن منعة في هذه المدرسة[٨٣]، وكذلك الشيخ أثير الدين المفضل بن عمر بن المفضل الأبهري الذي أعاد دروس كمال الدين بن منعة في هذه المدرسة أيضا[٨٤]. وغيرهما.

---

(٧٩) نفسه، ص٥٥.

(٨٠) ابن بطوطة، الرحلة، ص٢١٩.

(٨١) معروف، بشار عواد، " التربية والتعليم"، ٩/ ١٠٤.

(٨٢) ابن المستوفي، تاريخ اربل، ق١/ ٢٣٧.

(٨٣) ابن الشعار، عقود الجمان، ٣/ ورقة ٢٦١أ.

(٨٤) ابن خلكان، وفيات، ٥/ ٣١٣.

٤. المحدث

لاشك إن للسنة النبوية المطهرة مكانة كبيرة في نفوس العرب والمسلمين، وهي متمثلة في أقوال الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وافعاله وتقريراته، لذلك فقد أخذ بنظر الاعتبار تعليم الطلبة الحديث النبوي الشريف في المدارس ليكون مكملا لعلومهم الأخرى، فقد اشترط الواقف في معظم المدارس أن يكون فيها محدثا للاشتغال بعلم الحديث، كما هو الحال في المدرسة المستنصرية التي أنشئ فيها دارا للحديث واشترط أن يكون المحدث فيها شيخ عالي الإسناد كما حدد عدد الذين يشتغلون بعلم الحديث عشرة طلاب، وان تكون دروسهم ثلاثة أيام في الأسبوع وهي السبت والاثنين والخميس، فضلا عن ذلك فقد خصصت لهم وللمحدث الجرايات والمعاليم الشهرية أسوة بالمدرسين الذين كانوا في تلك المدرسة[٨٥]. وممن درس فيها علم الحديث الحافظ المتقن المحب أبي عبد الله محمد بن محمود بن النجار (ت ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م) صاحب كتاب (الذيل على تاريخ بغداد)، فقد عين في المستنصرية عندما فتحت وظل مشتغلا فيها في علم الحديث حتى وفاته[٨٦]، كما اشتغل محدثا في المدرسة التاجية ببغداد الفقيه المحدث شبيب بن عثمان بن صالح، أبو المعالي الرحبي، وذلك سنة (٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م)[٨٧].

---

(٨٥) ابن الفوطي، الحوادث، ص٥٨.

(٨٦) نفسه، ص٢٠٥- ٢٠٦.

(٨٧) السبكي، طبقات، ٧/٥.

٥. الواعظ

ووظيفته أن يعظ الناس في المدرسة، وهي وظيفة دينية إرشادية توجيهية هدفها تهذيب الأخلاق والنفوس وإرشاد الناس إلى الطريق القويم وإصلاحهم والتمسك بتعاليم الدين الحنيف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويبدو أن دروس الوعظ قد تكون في أوقات مختلفة، فمنها ما يكون بعد انتهاء الشيخ من محاضرته، ففي سنة (٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م) كان الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر المغربي الشرمساحي يختتم دروسه في المدرسة المستنصرية بدرس من الوعظ[٨٨]. وقد يكون موعد درس الوعظ في يوم الجمعة، فيذكر ابن جبير أثناء رحلته إلى بغداد سنة (٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م) انه حضر مجلس وعظ في المدرسة النظامية يوم الجمعة بعد صلاة العصر، وكان الواعظ الشيخ رضي الدين القزويني فقيه الشافعية، وحضر له مجلسا ثانيا في يوم الجمعة الثاني، وبعد الصلاة العصر أيضا[٨٩]، مما يشير إلى أن مجالس الوعظ لذلك الشيخ تكون مرة في الأسبوع وفي يوم الجمعة.

وكثيرا ما يكون المدرس نفسه واعظا في المدرسة الواحدة، نظرا لما يتمتع به ذلك المدرس من خلفية علمية ومكانة رفيعة بحيث انه يمارس وظيفة الوعظ إلى جانب التدريس، فقد كان محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت، أبو بكر الخجندي قد تولى التدريس بالمدرسة النظامية وفي الوقت نفسه يعظ الناس في

---

(٨٨) ابن الفوطي، الحوادث، ص٨١.

(٨٩) الرحلة، ص١٩٥، ١٩٦.

المدرسة نفسها فضلا عن إلقائه دروسا في الوعظ في جامع القصر[٩٠].

ويبدوا أن الوعظ في المدرسة لا يقتصر على طلاب المدرسة فحسب، وانما كان مفتوحا لكل من يرغب في الاستزادة والتعلم بدليل أن ابن الجوزي ذكر انه في سنة (٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م) وعظ الناس في مدرسته بدرب دينار، فكان الزحام - كما يقول - خارجا عن الحد، وتاب خلق من المفسدين[٩١].

وقد ذكرت كتب التراجم والتاريخ كثيرا من الوعاظ الذين كانوا يعقدون مجالس وعظ في مدارس العراق، كالمدرسة النظامية التي شرط فيها واقفها أن يكون الواعظ فيها من الشافعية[٩٢] ومن وعاظها، ابو حامد محمد بن محمد بن محمد بن إسماعيل بن عبد الله البروي[٩٣]، وأبو نصر عبد الرحيم بن أبي القاسم القشيري[٩٤]، وكان محمد بن عبد الله المعروف بابن الظريف الواعظ البلخي (ت ٥٩٦هـ / ١١٩٩ م) يعظ الناس في مدرسة أبي النجيب السهروردي وبالمدرسة النظامية ببغداد،[٩٥] كما كان للمؤيد اسفنديار بن أبي علي بن محمد بن ططمش البوشنجي الواسطي (ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م) مجالس وعظ في المدرسة التاجية في بغداد[٩٦] وغيرهم كثير.

---

(٩٠) المنتظم، ١٠/ ١٧٩.

(٩١) نفسه، ١٠/ ٢٨٥.

(٩٢) نفسه، ٩/ ٦٦.

(٩٣) رؤوف، عماد عبدالسلام، ص١٠٤.

(٩٤) اليافعي، مرآة الجنان، ٣/ ٢١٠. أمين، حسين، " المظاهر الحضارية للسلاجقة في العراق وآثارها "، مجلة الأستاذ، كلية التربية، جامعة بغداد، ١٩٦٧م ١٤/ ٣٦٤.

(٩٥) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/ ٤٧٤.

(٩٦) ابن الفوطي، تلخيص، ٤/ الترجمة ٦٧٢.

٦. عالم الفرائض والحساب والنحو

" علم الفرائض " معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهامها[٩٧]، لذلك عده ابن خلدون: " صناعة حسابية في تصحيح السهام لذوي الفروض في الوراثات إذا تعددت وهلك بعض الوارثين وانكسرت سهامه على ورثته أو زادت الفروض عند اجتماعها وتزاحمها على المال كله أو كان في الفريضة إقرار وإنكار من بعض الورثة، فتحتاج في ذلك كله الى عمل يعين به سهام الفريضة ... حتى تكون حظوظ الوارثين من المال على نسبة سهامهم "[٩٨]، وبذلك يكون لهذا العلم أهمية كبيرة في خدمة المجتمع وتطبيق أحكام الشرع الإسلامي في تقسيم الأموال على الورثة، وهو أيضا يشتمل على جزء من الفقه والأحكام الفقهية في باب المواريث[٩٩]، فهو علم يرتبط بالحساب في تصحيح الأسهم، ويرتبط بالفقه في استنباط الأحكام الفقهية من القرآن والسنة فيما يخص التركات والمواريث، لذلك فان أحد فروع علم الحساب المهمة هو " حساب الفرائض " الذي يعالج تلك المسائل، وله قوانينه الخاصة فيما يتعلق بتقسيم الأرث، وهو فرع اختص به العلماء المسلمون[١٠٠]، لان نظام المواريث الإسلامية معقد ويحتاج إلى عالم له خبرة جيدة في الحساب ليستطيع أن يعطي للورثة حقوقهم المشروعة.

وقد اعتبر الأوائل علم الفرائض من العلوم المهمة وأوردوا أحاديث عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) تشهد بفضلها مثل: " الفرائض ثلث العلم وإنها أول ما

---

(٩٧) ابن خلدون، المقدمة ، ص٤٥١.

(٩٨) نفسه، ص٤٨٤- ٤٨٥.

(٩٩) نفسه، ص٤٨٥،

(١٠٠) السامرائي، خليل، دراسات في تاريخ الفكر العربي، (الموصل: ١٩٨٦)، ص٣٤٢.

يرفع من العلوم"[١٠١]، لذلك فقد برع عدد من العلماء في هذا العلم وصنفوا به كتبا كثيرة على مختلف المذاهب الفقهية، وعندما أنشئت المدارس اشترط الواقف في اغلبها أن يكون فيها عالم للفرائض والحساب كما حصل في المدرسة المستنصرية[١٠٢]، من اجل التصدي للمشكلات التي تحصل عند تقسيم المواريث، ولكي يكون مرجعا لمن يريد أن يتفقه في هذا العلم.

أما الحساب وصناعته فالحاجة إليه قائمة للأغراض التي ذكرت آنفا، وكذلك احتيج إليه في مداولة المعاملات وأعمال الدولة وجباية الأموال والخراج وضبط المصروفات والرواتب وغير ذلك، مما حدا بالعلماء أن يهتموا ويصنفوا به كثيرا، وقد بدء بتعليمه للولدان منذ دخولهم مرحلة الكتاب لانه كما يقول ابن خلدون: يضئ العقل ويجعل الإنسان يتدرب على الصواب والصدق لما في ذلك من صحة في النتائج[١٠٣]، وممن اشتغل بهذه العلوم في المدرسة النظامية، أبو عبد الله العباس بن الخليفة الظاهر الذي أقام في هذه المدرسة ما يقرب من أربعين سنة يقرئ الناس علم الحساب والفرائض، كما انه صنف في هذا العلم كتبا كثيرة وكان بارعا في هذا الفن كما يذكر ذلك ابن الفوطي[١٠٤].

أما النحو الذي اشترط بتدريسه أيضا في بعض المدارس فهو الآخر من العلوم المهمة التي لابد من وجود عالم لتدريسها، ويبدو أن الهدف من ذلك هو الحفاظ على اللغة العربية واللسان العربي في تلك المدارس لاسيما إذا علمنا أن

---

(١٠١) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٨٥.

(١٠٢) ابن الفوطي، الحوادث، ص٥٩.

(١٠٣) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٨٣.

(١٠٤) الحوادث، ص٦٢ـ ٦٣.

التدريس هو باللغة العربية، فكانت الحاجة قائمة إلى أن يكون التعلم بالعربية الفصحى، خاصة إذا كان البعض من المتفقهة (الطلاب) من الأعاجم، فقد يتطلب الأمر إلى ضرورة تقويم اللسان لكي يكون تلقي العلم اكثر سهولة من قبلهم ولكي تبقى الفصحى شائعة بين الطلبة، لان الاختلاط بالعناصر غير العربية قد يفسد ملكة اللسان العربي كما يؤكد ذلك ابن خلدون[١٠٥]، لذلك فان علم النحو كصمام أمان في المدارس للمحافظة على اللغة العربية، فقد اشترط واقف المدرسة النظامية مثلا أن يكون فيها نحوي يدرس اللغة العربية وخصصت له جرايات ومعاليم أسوة ببقية الموظفين[١٠٦]، والشيء نفسه في المدرسة المستنصرية[١٠٧].

٧. قارئ القرآن

اشترط في المدارس أن يكون فيها قارئ للقرآن الكريم لكي يقرأ شيئا منه قبل بدء الدرس وبعد الانتهاء منه تيمنا وتبركا[١٠٨]، وبذلك فان قارئ القرآن يعد من ضمن الجهاز الوظيفي في المدارس، فقد اشترط في المدرسة النظامية أن يكون فيها قارئ للقرآن الكريم وخصصت له معاليم وجرايات أسوة ببقية العاملين[١٠٩]، كما كان قارئ القرآن في المدرسة النورية بالموصل هو احمد بن عبدالملك بن أبي منصور الموصلي المعروف بابن الخمي الضرير الذي ولد سنة

---

(١٠٥) المقدمة، ص٥٤٦.

(١٠٦) المنتظم، ٩/ ٦٦.

(١٠٧) معروف، ناجي، تاريخ علماء المستنصرية، ٢/ ١٠.

(١٠٨) السبكي، معيد النعم، ص١٠٩. ابن جماعة، تذكرة، ص٣٤.

(١٠٩) المنتظم، ٩/ ٦٦.

(٥٧٦هـ / ١١٨٠م)[١١٠] وغيرهم.

جدير بالذكر انه أنشئت في المدارس دورا للقرآن لتعليم الطلاب وتلقينهم القرآن الكريم كما هو الحال في المدرسة المستنصرية، فقد اشترط واقفها إنشاء دارا للقرآن تكون مرتبطة بالمدرسة وان يكون فيها ثلاثون صبيا من اليتامى يتلقنون القرآن الكريم، وان يكون فيها مقرئ متقن يساعده في ذلك معيد، وخصصت الجرايات والمشاهرة لهم وللمقرئ والمعيد[١١١].

يتبين مما سبق انه لا علاقة لقارئ القرآن في المدرسة، بدار القرآن التي أنشئت في بعض المدارس، فلكل منهما واجبه المختص به كما ورد آنفا، لكنه في كلتا الحالتين نلاحظ أن قارئ القرآن يعين في المدرسة وتصرف له الجراية والمشاهرة.

٨. المؤذن

وهناك بعض العاملين الذين كان وجودهم في المدارس ضروريا لكي يؤدي كل منهم الواجبات المكلف بها، ومن هؤلاء المؤذن الذي كان من واجبه المناداة للصلاة في أوقاتها، لانه من الواجب أن يؤدي الطلبة والمدرسين فرض الصلاة على وقتها، لذلك وردت إشارات إلى وجود المسجد في المدرسة، وكانت لبعض المساجد منارة أسوة بالمساجد الإسلامية التي تقع خارج المدرسة، كما في مدرسة سعادة في بغداد[١١٢]. وقد خصصت قبة للمؤذن كمقر له، كما هو الحال في المدرسة

---

(١١٠) ابن الشعار، عقود الجمان، ١/ورقة ٢٢٨ب.

(١١١) ابن الفوطي، الحوادث، ص٥٩.

(١١٢) المنتظم، ١٠/ ١٠٨.

النظامية[١١٣]، لكنه لم ترد إشارة إلى أسماء المؤذنين في المدارس.

٩. الأمام

ومادام هناك مسجد للصلاة في المدرسة، فلابد من وجود إمام يؤم المصلين في أوقات الصلاة، فضلا عن فروض أخرى يقوم بها كالصلاة على الميت، لا سيما العلماء و المسؤولين منهم، فقد صلي على أبي البدر بن حيدر متولي ديوان التركات الحشرية (الأموال التي لا وارث لها فتعود لبيت المال) بالمدرسة النظامية سنة (٥٩٩هـ / ١٢٠٢م)[١١٤]، وفي المدرسة نفسها صلي على الحاجب محمود المخزني سنة (٥٩٩هـ)أيضا[١١٥]، وعلى الرضى بن حبشي كاتب الخزن المعمور(بيت المال) سنة (٦٠٠هـ / ١٢٠٣م) في المدرسة نفسها[١١٦]، وصلي على أبي يعلى حمزة بن علي بن حمزة بن فارس البغدادي المعروف بابن القبيطي، وهو احد القراء الجيدين (ت ٦٠٢هـ / ١٢٠٥م) في نفس المدرسة[١١٧] وغيرهم كثير.

وممن رتب إماما في المدرسة النظامية أبي حفص عمر بن احمد بن الحسين ابن علي بن بكرون المقرئ النهرواني، اذ كان يؤم المصلين يوميا في الصلوات الخمس في هذه المدرسة، وظل على ذلك سنين عديدة حتى وفاته سنة

---

(١١٣) ابن الفوطي، الحوادث، ص٤٠٨.

(١١٤) ابن الساعي، الجامع، ٩/ ١٠٧.

(١١٥) نفسه، ٩/ ١١١.

(١١٦) نفسه، ٩/ ١٣٠.

(١١٧) نفسه، ٩/ ١٩١.

(٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)[١١٨]. وما دام قد رتب الإمام في هذه الوظيفة بالمدرسة، فلا شك انه كان يحصل على اجر من جراء عمله هذا.

١٠. الطبيب

لا شك إن العناية بالتربية والتعليم رافقتها عناية خاصة بالصحة ومعالجة المرضى لانه كما هو معروف (العقل السليم في الجسم السليم)، ولما كان الهدف هو إنشاء مجتمع معافى، لذلك اخذ بنظر الاعتبار الاهتمام بصحة الطلاب في المدارس بخاصة والناس بعامة، مما حدا بالواقف أن يوصي بوجود طبيب في المدرسة، كما هو الحال في المستنصرية، اذ كان واجبه تطبيب من يعرض له مرض من أرباب المدرسة ومنتسبيها فضلا عن إعطائه الأدوية والأشربة اللازمة[١١٩]. وبذلك يمكن القول إن الضمان الصحي قد عرف في العراق منذ العصر العباسي.

تجدد الإشارة أن للطبيب وظيفة تعليمية أيضا، فمن واجبه تعليم عشرة طلاب من المسلمين، علم الطب، ويصرف لهم من الأموال ما يصرف لغيرهم من المنتسبين[١٢٠]، وقد أنشئ في سنة (٦٣٣هـ / ١٢٣٥م) إيوانا مخصصا في المدرسة المستنصرية يجلس فيه الطبيب وعنده جماعته من الذين يشتغلون عليه،

---

(١١٨) نفسه، ٩/ ٥٩.

(١١٩) ابن الفوطي، الحوادث، ص٥٩.

(١٢٠) نفسه، ص٥٩.

ويقصده المرضى سواء من آهل المدرسة أو من خارجها، فيعالجهم[١٢١].

١١. موظفو المكتبة

تعد مكتبة المدرسة من أهم وابرز المرافق فيها وذلك لان الكتب هي إحدى وسائل نقل العلم بين الطلبة والمحافظة عليه من الضياع والنسيان، ومن ثم فان وجود المكتبة ضروري في المدرسة لكي يرجع إليها الطلبة من اجل الاطلاع على العلوم والمعارف والاستزادة منها، لذلك فانه لا تخلو مدرسة من المدارس إلا وجدت فيها مكتبة عامرة، وعين فيها من يديرها من الموظفين كالخازن والمشرف والمناول والفراش وغيرهم، وخصصت للجميع الرواتب أسوة ببقية العاملين في المدرسة.

الخازن

وهو من ابرز موظفي المكتبة وعليه أن يوفر الكتب للمطالعين في المدرسة، ومن واجبه المحافظة عليها وترميم شعثها وفهرستها وإعارتها للطلاب مقابل رهن[١٢٢].

وقد وصلت أخبار خزان المكتبات في المدارس العراقية، فالمدرسة النظامية التي تميزت مكتبتها بالسعة وكثرة الكتب بحيث كان عدد كتبها نحو ستة آلاف مجلد[١٢٣]، وجددت عمارتها في زمن الخليفة الناصر لدين.الله سنة (٥٨٩هـ /

---

(١٢١) نفسه، ص٨٢.

(١٢٢) السبكي، معيد النعم، ص١١١.

(١٢٣) معروف، بشار عواد، " التربية والتعليم "، ٨/ ٧١.

١١٩٣م) ونقل إليها عشرة آلاف مجلد[١٢٤]، واشترط في متولي خزانتها أن يكون على المذهب الشافعي[١٢٥]، وكان الخازن فيها يتميز بعلمه وادبه ومكانته، ومن هؤلاء أبي يوسف الاسفراييني الشاعر والأديب وهو أول خازن فيها[١٢٦]، ولما توفي سنة (٤٩٨هـ / ١١٠٤م) حل محله محمد بن احمد الابيوردي[١٢٧]، وكذلك علي بن احمد بن بكري، أبو الحسن (ت ٥٧٥هـ / ١١٧٩م) وهو من الأدباء الفضلاء والكتاب الجيدين[١٢٨]، وكانت أجور خازن مكتبة النظامية سبعة دنانير في الشهر[١٢٩].

ومكتبة المدرسة المستنصرية التي نقل إليها من الكتب المختلفة ماحمله مائة وستون حمالا[١٣٠]، وقيل حوت ثمانين ألف مجلدة[١٣١]، وطلب من الشيخ عبدالعزيز شيخ رباط الحريم بإثبات هذه الكتب (تسجيلها وفهرستها) والى ولده العدل ضياء الدين احمد الخازن بخزانة كتب الخليفة التي في داره، فرتبت احسن ترتيب وتمت فهرستها حسب المواضيع ليسهل تناولها. وكان الخازن فيها الشمس

---

(١٢٤) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ط١، ٤٢١/٨- ٤٢٢. الكامل، ١٢/ ١٠٤، الغساني، المسجد المسبوك، تحقيق: شاكر محمود عبدالمنعم، (بيروت: ١٩٧٥)، ص٦١.

(١٢٥) المنتظم، ٩/ ٦٦.

(١٢٦) حمادة، محمد ماهر، المكتبات في الاسلام، ط٣، مؤسسة الرسالة، (بيروت: ١٩٨١)، ص١٥٣.

(١٢٧) الحموي، معجم الادباء، ١٧/ ٢٣٧.

(١٢٨) نفسه، ١٢/ ٢٧٤.

(١٢٩) معروف، بشار عواد، " التربية والتعليم"، ٨/ ٧١.

(١٣٠) ابن الفوطي، الحوادث، ص٥٤.

(١٣١) تلخيص مجمع الاداب، ج٤ق١/ ٢٨.

علي بن الكتبي الذي خلع عليه وعلى بقية موظفي المكتبة[١٣٢]، كما اصبح ابن الفوطي نفسه خازنا لها أواخر (ق ٧هـ)[١٣٣] صاحب كتاب (تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب) و(الحوادث الجامعة)، وكذلك ابن الساعي، تاج الدين علي بن أنجب بن عثمان السلامي البغدادي المسمى بالخازن[١٣٤]. وقد خصص للخازن في المستنصرية أجرة شهرية قدرها عشرة دنانير، وان يكون له كل يوم عشرة أرطال خبزا واربعة أرطال لحما بحوائجها وخضرها وحطبها[١٣٥].وفي مدرسة مشهد أبي حنيفة كان خازن مكتبتها الفقيه عبدالعزيز بن علي بن أبي سعد الخوارزمي سنة (٥٦٨هـ / ١١٧٢م)، وكذلك ابن الاحوازي (ت ٥٦٩هـ / ١١٧٣م)[١٣٦].

والمدرسة البدرية بالموصل احتوت على مكتبة ضخمة وعين فيها اكثر من خازن كتب ومنهم أبو المجد إسماعيل بن باطيش الموصلي (ت ٦٥٥هـ / ١٢٥٧م)[١٣٧]. وكذلك احمد بن إبراهيم بن هبة الله، أبو العباس بن اسحق الموصلي

---

(١٣٢) ابن الفوطي، الحوادث، ص٥٥ ، ٥٦.

(١٣٣) حمادة، المكتبات، ص١٤٢، ١٥٣.

(١٣٤) ابن الساعي، الجامع، ٩ / ص ي (مقدمة المحقق)

(١٣٥) معروف، ناجي، تاريخ علماء المستنصرية، ٢ / ٦٧.

(١٣٦) رؤوف، عماد عبد السلام، مدارس بغداد، ص٤٢.

(١٣٧) احمد، عبد الجبار حامد، الحياة العلمية في الموصل، رسالة ماجستير غير منشورة (الموصل: ١٩٨٦)، ص١٥٠.

(ولد سنة ٦٠٢هـ / ١٢٠٥م)[١٣٨]. والشيخ يحيى بن سعيد بن المبارك بن علي النحوي المعروف بابن الدهان (ت ٦١٦هـ / ١٢١٩م)[١٣٩].

المشرف

وهو أحد موظفي مكتبات المدارس في العراق، ويبدو أن منصبه اقل درجة من منصب الخازن لانه يذكر بعده في التسلسل الوظيفي للمكتبات[١٤٠]، كما يحصل على جرايات ومعاليم اقل مما يحصل عليه الخازن، فقد خصص له في المستنصرية في كل يوم خمسة أرطال خبزا ورطلان لحما وثلاثة دنانير شهريا[١٤١]، وبذلك تكون مسئوليته في المكتبة اقل من مسؤولية الخازن، علما أن الدكتور ناجي معروف جعل هذه الوظيفة هي (الأشراف على الخازن) أي أعلى درجة من الخازن نفسه[١٤٢]، ولم يذكر المصدر الذي استقى منه، في حين إن المؤشرات التي ذكرناها آنفا توحي غير ذلك.

وممن تولى منصب الأشراف في المكتبات، العماد بن علي بن الدباس، وكان مشرفا في مكتبة المدرسة المستنصرية[١٤٣] وأبو جعفر عمر بن أبى بكر بن عبيدالله الدباس (ت ٦٠١هـ / ١٢٠٤م) مشرفا بالمدرسة النظامية[١٤٤].

---

(١٣٨) ابن الشعار، عقود الجمان، ١/ورقة ٢١٤أ.

(١٣٩) نفسه، ٩ /ورقة ٢٢٢ آوب.

(١٤٠) ابن الفوطي، الحوادث، ص٥٥، ٥٦.

(١٤١) معروف، ناجي، تاريخ علماء المستنصرية، ٢ / ٦٧.

(١٤٢) نفسه، ٢ / ٦٧.

(١٤٣) ابن الفوطي، الحوادث، ص٥٦.

(١٤٤) ابن الساعي، الجامع، ٩ / ١٦٠.

وعلى الرغم من عدم ذكر واجب المشرف في المكتبة، إلا أنه يبدو أن عمله هو القيام بترتيب الكتب وتنظيمها وكل ما يقتضيه عمل المكتبة.

المناول

وهو الذي يسهل مناولة الكتب للمطالعين في المدرسة ثم إعادتها إلى مكانها، ويأتي في المرتبة الثالثة من حيث التسلسل الوظيفي للمكتبات[١٤٥]، كما يحصل على جرايات ومعاليم اقل مما يحصل عليه السابقون، فقد خصص له في كل يوم أربعة أرطال من الخبز وغرف طبيخا ودينار ان شهريا[١٤٦] في المدرسة المستنصرية، وكان احد المناولين في تلك المدرسة هو الجمال إبراهيم بن حذيفة[١٤٧].

جدير بالذكر إن مكتبات المدارس لا تخلو من الفراشين والبوابين والخدم من اجل خدمة المكتبة وتنظيفها إلى جانب عدد من النساخ والمجلدين وغيرهم[١٤٨].

١٢. الناظر (المتولي)

يعد ناظر المدرسة ومتوليها من ضمن الجهاز الإداري للمدارس، وتكون مهمته النظر في إدارة المدرسة واليه المرجع في الأمور كافة، كما يتولى النظر في أوقاف المدرسة وكيفية صرفها واستثمار حاصلها مستخيرا من يستخدمه في ذلك

---

(١٤٥) ابن الفوطي، ص٥٦.

(١٤٦) معروف، ناجي، تاريخ علماء المستنصرية، ٢ / ٦٧.

(١٤٧) ابن الفوطي، الحوادث، ص٥٦.

(١٤٨) حمادة، المكتبات، ص١٥١.

من الأمناء، ومراقبة المتفقهة (الطلاب) بملازمة الدروس، وفهرست ومراقبة خزانة الكتب وترميم شعثها[١٤٩]، فهو أشبه بمدير المدرسة في الوقت الحاضر.

جدير بالذكر إن الناظر على المدارس غالبا ما يكون من ضمن المدرسين، وهذه ميزة أخرى وثقة زائدة تمنح للشيخ، بحيث انه يكلف بالنظر في أمور المدرسة وخدماتها فضلا عن تدريسه فيها، فقد كان أبي عبدالله محمد بن يحيى بن فضلان ناظرا في أوقاف المدرسة النظامية فضلا عن التدريس فيها[١٥٠]، وفي سنة (٥١٧هـ / ١١٢٣م) تولى الفقيه أسعد الميهني التدريس في المدرسة النظامية والنظر في اوقافها[١٥١] ، وفي سنة (٦٠٤هـ / ١٢٠٧م) سلمت المدرسة الاسبابذية ببغداد إلى الشيخ عماد الدين أبي بكر محمد بن يحيى السلامي المعروف بابن الحبير (ت ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م) تدريسا ونظرا في اوقافها[١٥٢]. وكان الناظر لأوقاف المدرسة الشرابية بواسط والمتولي لعمارتها أبي حفص عمر بن أبي بكر ابن اسحق الدورقي[١٥٣].

جدير بالذكر أن هناك (مشرف) على ناظر المدرسة فضلا عن (الكاتب والخازن)، وذلك من اجل السيطرة على أموال المدرسة وأحوالها المعاشية، وهو نظام دقيق تعاون الجميع من اجله والاشتراك في تحمل المسؤولية منعا للتلاعب

---

(١٤٩) ابن الساعي، الجامع، ٩ / ٢٣٦.

(١٥٠) ابن الفوطي، الحوادث، ص٦٤.

(١٥١) المنتظم، ٩ / ٢٤٦.

(١٥٢) ابن الساعي، الجامع، ٢١٩.

(١٥٣) ابن الفوطي، الحوادث، ص٧٧.

والعبث في أموال المدرسة وكذلك من اجل إدامة الجرايات والأوقاف والمعاليم على منتسبي تلك المدرسة بشكل دائم دون انقطاع. فقد رتب العدل عبدالله بن ثامر (مشرفا) على الناظر في أوقاف المدرسة المستنصرية، وكان الناظر فيها أبي النجيب عبدالرحمن بن يحيى بن القاسم التكريتي، كما رتب العدل أبي منصور الفاضل بن محمد كاتبا، وكذلك رتب العدل ابن أبي بدر خازنا[١٥٤]، (وهو غير خازن الكتب في المدرسة)، وقد يكون الكاتب والخازن مكملين للناظر ومساعدين له لتثبيت أموال وممتلكات المدرسة. كما كان قاضي القضاة ببغداد (مشرفا) على ناظر المدرسة العصمتية التي أنشأتها عصمة الدين زوجة علاء الدين صاحب الديوان سنة (٦٧١هـ / ١٢٧٢م) وكان الناظر فيها شهاب الدين علي بن عبدالله[١٥٥]. مما يشير إلى أن منصب (الأشراف) كان يعهد إلى شخصيات ذات مراكز رفيعة مثل قاضي القضاة لمدينة بغداد. ويبدو انه كان أعلى درجة من (الناظر) وربما كان مسؤولا أمام الدولة عن أملاك المدرسة وصرفياتها وسير التدريسات فيها، وليس مساعدا للناظر أو اقل درجة منه كما ذكر بعض المؤرخين[١٥٦]، في حين يبدو أن الناظر كان مسؤولا أمام (المشرف) على أوقاف المدرسة وسير العمل فيها، فهو سلم وظيفي متدرج.

ولأهمية الناظر والمشرف فقد تصلهم هدايا الدولة ويخلع عليهما كما يخلع على المدرسين، فعندما فتحت المدرسة البشيرية خلع على الناظر بها[١٥٧] كما

---

(١٥٤) نفسه، ص٥٩.

(١٥٥) نفسه، ص٣٧٤.

(١٥٦) رؤوف، عماد عبد السلام، مدارس بغداد، ص٢٩.

(١٥٧) ابن الفوطي، الحوادث، ص٣٠٨.

خصص لهما جرايات ومعاليم، فقد خصص لمشرف المستنصرية العدل عبدالله بن ثامر في كل يوم عشرة أرطال من الخبز، وفي كل شهر سبعة دنانير[١٥٨].

١٣. الكاتب

إن وجود الهيكل الإداري في المدرسة فضلا عن الطلاب يحتاج إلى كاتب يوثق أسماؤهم ورواتبهم وجراياتهم، كما ان من واجبه تحرير الكتب والرسائل التي ترد إلى المدرسة أو تصدر عنها، كما إن عليه مسك السجلات والأوامر الرسمية[١٥٩]، فضلا عن ذلك فانه كان يتولى كتابة وقوف المدرسة، وممن رتب لهذا العمل، أبو البركات محمد بن القاضي، أبو الحسين هبة الله بن أبي الحديد المدائني (ت ٥٩٨هـ / ١٢٠١م) كاتب وقوف المدرسة النظامية[١٦٠].

وما دام الحديث عن الكاتب فلابد من الإشارة إلى كاتب الغيبة على الفقهاء (الطلاب) الذي كان وجوده ضروريا في المدرسة لبيان من لم يحضر منهم وتسجيل ذلك مع الاستفسار عن سبب عدم الحضور، فان كان له عذر بينه، وعليه أن لا يغفل عن الغياب أو يتسامح به مقابل حصوله على أموال من الفقيه، فقد اعتبر السبكي مثل هذا الكاتب بأنه على شفير جهنم[١٦١]. ومن المحتمل أن يكون الكاتب في المدرسة هو نفسه مسؤول عن الغياب.

١٤. وهناك طائفة أخرى من الجهاز الإداري في المدرسة كالفراش والبواب

---

(١٥٨) الديوه جي، سعيد، التربية والتعليم في الإسلام، (الموصل: ١٩٨٢)، ص٩٩.

(١٥٩) نفسه، ص١٠٠.

(١٦٠) ابن الساعي، الجامع، ٩ / ٨٨.

(١٦١) معيد النعم، ص١١٠.

والطباخ والحمامي والمزين وغيرهم، وكان لكل منهم واجبه المخصص له في المدرسة، وخصص لكل منهم الرواتب والجرايات والخلع، فقد خلع على الفراشين والخدم عندما فتحت المدرسة البشيرية ببغداد سنة (٦٥٣هـ / ١٢٥٥م) أسود ببقية الموظفين من المدرسين والناظر والنواب[١٦٢] وكذلك جرت تخصيصات للفراش والبواب في المدرسة العمادية التي أنشأها عماد الدين زنكي الثاني بن قطب الدين مودود (ت ٥٩٤هـ / ١١٩٧م) في سنجار[١٦٣] وكان في المدرسة المستنصرية عشرة فراشين وثلاثة بوابين فضلا عن المزين والطباخ والحمامي يأخذون نصيبهم المخصص لهم[١٦٤].

والبواب هو الذي يكون واجبه المبيت بقرب باب المدرسة بحيث يسمع من يطرق عليه لكي يفتح له الباب في أي وقت من أوقات الليل لغرض الصلاة أو المبيت أو الاشتغال، لكن البعض من البوابين يغلق الباب بعد صلاة العشاء أو في وقت يحدده بحيث إذا جاء أحد بعد ذلك الوقت لا يفتح له، وربما يشترط الواقف مثل هذا الشرط، ويرى السبكي أن في ذلك وجهة نظر صحيحة[١٦٥] خوفا من السراق أو العابثين بأملاك المدرسة وحفاظا على الساكنين فيها من الطلاب والمدرسين.

أما الفراش فقد يكون واجبه تقديم الخدمات لموظفي المدرسة والطلاب خلال تواجدهم فيها، وقد يكون قسم منهم في خدمة مكتبة المدرسة كما مر بنا. والطباخ

---

(١٦٢) ابن الفوطي، الحوادث، ص٣٠٨.

(١٦٣) ابن الأثير، الكامل، ٢ / ١٣٢.ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، تحقيق: يحيى عبارة، (دمشق: ١٩٧٨) ج٣ ق١ / ١٨٣ ـ ١٨٤.

(١٦٤) معروف، بشار عواد،" التربية والتعليم " ، ٨/ ١١٠.

(١٦٥) معيد النعم، ص١٤٤.

واجبه طبخ الطعام لمنتسبي المدرسة كل يوم. والحمامي واجبه تجهيز الحمام لسكنى المدرسة. والمزين واجبه خدمة رواد المدرسة وحلق رؤوسهم.

١٥. و أخيرا لابد من الإشارة إلى بعض الخدمات الحيوية التي أوجدها مؤسسو المدارس لخدمة الطلاب والمدرسين، ويأتي في مقدمتها **الوقف على المدارس** / ولها أهمية كبيرة حيث يساعد على ديمومة واستمرارية عمل تلك المدرسة، وهذه الأوقاف قد تكون نقدية أو عينية، وقد تحبس أراضي وبساتين ودكاكين لمدرسة ما، من المدارس فتدر أموالا وأرباحا لصالح تلك المدرسة ومنتسبيها. فقد أوقفت على المدرسة النظامية وقوف كثيرة للأنفاق عليها وعلى عمارتها ومكتبتها ولأجراء الجرايات على طلابها وشيوخها وبقية موظفيها، فمن هذه الوقوف السوق التي بنيت حولها وكذلك الضياع والأملاك وكلها حبست عليها، وقد قرئ كتاب الوقفية بحضور قاضي القضاة والأشراف والنقباء والشهود في يوم الاثنين السادس والعشرين من جمادى الآخرة سنة (٤٦٢هـ / ١٠٦٩)[١٦٦].

وكان لهذه الوقوف ناظر يتولى النظر فيها ـ كما ورد فيما سبق من هذا البحث ـ، ففي سنة (٥٩٥هـ / ١١٩٨م) رد النظر في وقوف المدارس جميعها والوقوف العامة إلى قاضي القضاة القاسم بن الشهرزوري[١٦٧]، ثم انتقل أمر النظر في وقوف النظامية إلى أبي الشكر محمود بن سليمان بن سعيد (صاحب قاضي القضاة بن الشهرزوري) ويعرف بابن المحتسب (ت ٥٩٨هـ / ١٢٠١م)[١٦٨] وغيرهما.

---

(١٦٦) المنتظم، ٨ / ٢٥٦.

(١٦٧) ابن الساعي، الجامع، ٩ / ٢٠.

(١٦٨) نفسه، ٩ / ٩٠.

والى جانب متولي الوقف كان هناك كاتب الوقف في المدرسة النظامية – مر الحديث عنه في موضوع الكتاب – وهو أبي البركات محمد بن القاضي أبي الحسين هبة الله بن أبي الحديد المدائني[١٦٩]، وبديهي إن واجبه إثبات هذه الوقوف وتدوين ما يرد إلى المدرسة وما يصرف على منتسبيها.

أما المدرسة المستنصرية فقد اشترط الواقف تقديم المشاهرة الوافرة والجرايات الدائرة من لحم وطبخ وحلواء وفواكه وصابون وفرش[١٧٠] من اجل تسهيل أمور الطلاب والمدرسين فيها، كما أوقفت عليها عدة حوانيت وقرى واراضي ما قيمته تسعمائة ألف دينار[١٧١]، وممن تولى النظر في اوقافها شيخ الشيوخ صدر الدين أبي المظفر علي بن النيار[١٧٢].

وقد عهد إلى ضياء الدين احمد بن مسعود التركستاني الحنفي، النظر في وقوف مدرسة مشهد أبي حنيفة فضلا عن التدريس فيها سنة (٦٠٤ هـ/١٢٠٧ م)، وكان من واجبه كما نص التوقيع: " أن يبذل جهده في عمارة الوقوف واستنمائها واستثمار حاصلها وارتفاعها مستخيرا من يستخدمه فيها من الاجلاء الأمناء ذوي العفة والغناء..."[١٧٣]. مما يشير إلى أهمية المسؤولية التي عهدت إليه والى من يختارهم لمساعدته من اجل الحفاظ على ممتلكات المدرسة وديمومتها لخدمة العاملين فيها وطلابها.

---

(١٦٩) نفسه، ٩ / ٨٨.

(١٧٠) ابن الفوطي، الحوادث، ص٥٨.

(١٧١) معروف، بشار عواد، " التربية والتعليم"، ٨ / ١١٤.

(١٧٢) ابن الفوطي، الحوادث، ص٢١٠.

(١٧٣) ابن الساعي، الجامع، ص٢٣٦.

ومن الخدمات الحيوية الأخرى في المدارس أيضا، **مساكن الطلبة** / وهذا النوع من الخدمة يعد ذا أهمية بالغة من حيث مساعدة الطلاب والمدرسين لاسيما الغرباء منهم، وتوفير الأجواء الملائمة لسكناهم فضلا عما يقدم لهم من الطعام والشراب، وهو أشبه بالأقسام الداخلية في وقتنا الحاضر، ففي المدرسة النظامية أنشئت مساكن للطلبة، وممن سكن فيها الشيخ بهاء الدين أبي طالب سعد بن اليزدي الفقيه (ت ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م)[١٧٤]. وفي مدرسة الأمير سعادة الرسائلي ببغداد سكن الفقيه احمد بن محمد بن علي المعروف بابن الكجلو (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢ م)[١٧٥]، وفي الموصل ألحقت بالمدرسة الاتابكية العتيقة مساكن الطلبة أيضا ومن الذين سكنوا فيها، أبو زكريا يحي بن احمد المقرئ الموصلي (ت ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م) وظل فيها حتى وفاته[١٧٦] وكذلك سكن في المدرسة الزينية في الموصل أيضا الشيخ طاهر بن ثابت البوازيجي[١٧٧]، كما وجد أيضا في مدرسة ابن الشهرزوري (الكمالية القضوية) مساكن للطلبة، وقد سكنها القاضي تاج الدين يحي بن القاسم بن الفرج التكريتي عندما قدم إلى الموصل[١٧٨]. وفي مدينة واسط ذكر ابن بطوطة إن في مدرستها ما يقرب من ثلاثمائة خلوة ينزل فيها الغرباء والطلاب، وتجري عليها الجرايات كل يوم، ويعطي لكل متعلم منهم كسوة في السنة[١٧٩]، أما المدرسة العقيلية في اربل فقد حوت هي الأخرى مساكن للطلبة

---

(١٧٤) ابن الفوطي، الحوادث، ص١٣٤.

(١٧٥) رؤوف، عماد عبد السلام، مدارس بغداد، ص٤٧.

(١٧٦) ابن الشعار، عقود الجمان، ٩ / ورقة ١٨٠ب.

(١٧٧) نفسه، ٣ / ورقة ١٠٩ب.

(١٧٨) ابن الفوطي، تلخيص، جـ٤، ق٣ / ١٧٥.

(١٧٩) الرحلة، ص١٧٩.

وممن سكنها أبى العباس احمد بن محمد بن نوري المرندي[١٨٠].

جدير بالذكر أن سكنى المدارس تتطلب آدابا وسلوكا خاصا، على الطلاب والأساتذة أن يلتزموا بها، ومنها: " ألا يكثر البروز والخروج من غير حاجة، فان كثرة ذلك يسقط حرمته من العيون"[١٨١]. وان لا يتخذ باب المدرسة مكانا للجلوس من غير حاجة، ولا يكثر التمشي في ساحة المدرسة من غير حاجة إلا إذا احتاج إلى الراحة أو الرياضة أو انتظار أحد[١٨٢]وعدم الصعود إلى سطح المدرسة المشرف على الجيران من غير ضرورة ويتجنب النظر إلى الجار أو التكلم بصوت مرتفع وغير ذلك[١٨٣].

---

(١٨٠) ابن المستوفي، تاريخ اربل، ق١ / ٣٦٦.

(١٨١) ابن جماعة، تذكرة، ص ٢٠٢.

(١٨٢) نفسه، ص٢٣١.

(١٨٣) نفسه، ص ٢٣٣ _ ٢٣٤.